المصادر التعليمية المفتوحة

د. عبد الرحمن فراج (*)

ربما لم يكن هناك عصر نحن أحوج فيه إلى المصادر التعليمية المفتوحة في العالم العربي مثل هذا العصر الذي نعيش، وذلك لكثير من الأسباب أولها هو الأحوال التعليمية التي تمر بها المجتمعات العربية والتي لا يخفى على أحد حاجتها الماسة للتطوير والارتقاء. وترى اليونسكو (1) أن التربويين يواجهون في جميع أنحاء العالم تحديات كبيرة لزيادة فرص الحصول على تعليم عالي الجودة منخفض النفقات. وتعد محاولة الحد من ارتفاع تكلفة الكتب الدراسية بالجامعات، مثلا، أحد أبرز أسباب دعمها للمصادر التعليمية المفتوحة.

وثاني هذه الأسباب هو أننا نعيش اليوم عصر المعرفة المفتوحة، وهي مجموع الجهود الفكرية المتاحة بصورة حرة من البحث والتعليم والابتكار والإبداع، وهنا

تتضافر كل من المصادر التعليمية المفتوحة والوصول الحر للعمل بصورة متكاملة لتعزيز جودة التعلم وابتكار معارف جديدة (2). وعلاقة الوصول الحر بالمصادر التعليمية المفتوحة هي علاقة الكل بالجزء؛ فبينما يغطي الأول جميع أنماط مصادر المعلومات يختص الثاني – كما هو واضح – بمصادر التعليم والتعلم فحسب، وفيما يستهدف الأول جميع الباحثين والدارسين في مرحلة الدراسات العليا خاصة، يتوجه الثاني على الأخص إلى المعلمين والمتعلمين في جميع مراحل التعليم.

عصرنا عصر المعرفة المفتوحة، التي هي مجموع الجهود الفكرية المتاحة بصورة حرة من البحث والتعليم والابتكار والإبداع

وقد جرى سك مصطلح «المصادر التعليمية المفتوحة» Open educational resources (OER)) في منتدى اليونسكو لعام 2002 والمنعقد حول تأثير برمجيات المساقات الدراسية الحرة Open Courseware (OCW) على التعليم العالي في البلاد النامية. وتهدف هذه المصادر في الأساس إلى تعزيز حرية الوصول إلى المصادر الرقمية التعليمية المتاحة على الإنترنت لجميع المستفيدين على مستوى العالم، كما تُعرف بأنها مصادر التعليم والتعلم والبحث المتاحة في المجال العام أو تم إصدارها تحت إحدى رخص الملكية الفكرية التي تسمح باستخدامها أو تطويعها لأغراض أخرى من قبل الآخرين (3). ويمكن لأي من هؤلاء المستفيدين نسخ أو تحميل هذه المصادر واستخدامها وتكييفها مع احتياجاته وتقاسمها بطريقة قانونية ومجانية، كما يمكن النّفاذ إلى هذه المصادر على نطاق واسع، ممّا يشجّع على نشر ثقافة العمل التعاوني والتشاركي وتنمية المهارات والقدرات (4).

ويشمل هذا النمط من المصادر الرقمية: الكتب الدراسية المجانية، والمواد التعليمية، والمحاضرات الصوتية والمرئية، والاختبارات، والبرامج الحاسوبية، والعديد من الأدوات أو التقنيات الأخرى التي تستخدم في نقل المعرفة ولها تأثير واضح على أساليب التدريس والتعليم وتتاح وفقًا لأسلوب الوصول الحر. ومصادر التعليم المفتوحة ليست فقط مواد تعليمية مجانية بَل هي مفتوحة بغرض التطوير، وقابلة للممارسات التعاونية بما يمكّن من التطور السريع والمستمر في جودة التعليم والتدريس.

من ناحية أخرى، لا يقتصر استخدام المصادر التعليمية المفتوحة على التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد؛ فكثير من هذه المصادر يمكن طباعتها واستخدامها في بيئة تناظرية، كما يمكن إخراجها أو أقلمتها للاستخدام في أي منصة أو في أي نظام لإدارة التعلم، فضلا عن إمكانية استخدامها عبر الإنترنت أو في الصفوف الدراسية التقليدية أو في بيئة التعلم الهجين أو المرن (5). كما أنه لابد من الأخذ في الاعتبار أن المصادر التعليمية المفتوحة ليست حلا سحريًا، إلا أنها في أقل الأحوال يمكن أن تكون إحدى الطرق المتعددة المستخدمة في تعزيز عملية التعلم.

ونصادف في هذا السياق مصطلحًا آخر هو المقررات المفتوحة واسعة الانتشار عبر الإنترنت (الموك) Massive Open Online Courses (MOOCs)، والتي تعرف بأنها مواقع عنكبوتية تتيح للمتعلمين دراسة مقررات تعليمية (أو مساقات) تستهدف عدداً ضخماً من الدارسين، كما أن الدراسة فيها غير تزامنية ومن ثم فإنها تعتمد على الجهد الذاتي لهؤلاء الدارسين (6). وربما كان العنصر المشترك الأساس بين مصطلح المصادر التعليمية المفتوحة وبين (الموك) هو الانفتاح Open، إلا أن هناك فروقًا كثيرة بين المصطلحين (7). فعادة ما يهتم أولهما بمحتوى المصادر أكثر منه بالمساقات الدراسية الكاملة، وإتاحة هذه المصادر والمشاركة فيها وإعادة توزيعها بصورة حرة تمامًا دون دفع أي رسوم، وعادة ما يكون ذلك وفقًا لإحدى الرخص المفتوحة open license، وأخيرًا قد لا تكون هناك مشاركة أو تفاعل من أي نوع في ذلك بين المعلمين والمتعلمين. وعلى العكس، تنبني (الموك) على المساقات الدراسية سواء كانت محدودة أم كاملة ومن بداية المساق إلى نهايته، وعلى التفاعل بين منشئي هذه المساقات والمستفيدين منها، وذلك دون كبير اهتمام بالمحتوى الذي لا يتغير ولا يتبدل، أو بالرخص الداعمة لهذا المحتوى.

وتتاح المصادر التعليمية المفتوحة عبر كثير من المنافذ، لعل على رأسها مستودعات المصادر التعليمية المفتوحة Repositories of Open Educational Resources (ROER)، والتي تدعى أحيانا مستودعات الكائنات التعليمية Learning Object Repositories (LOR)) ، والمستودعات المؤسساتية في حالة الجامعات التي تخصص لها موقعًا جنبا إلى جنب مصادر المعلومات البحثية والعلمية، فضلا عن المنصات. وكثيرة هي المنصات والمستودعات التعليمية المتاحة على العنكبوتية والتي تعمل على تعزيز المحتوى التعليمي الرقمي، وقد تم في السنوات الأخيرة إنشاء منصات عربية لهذا النمط من المصادر، والتي يمكن تقسيمها إلى منصات عامة، وأخرى تخصصية، وثالثة نوعية.

فمن المنصات العامة، مثلا، إدراك (https://www.edraak.org) الناشئة عن مبادرة من مؤسسة الملكة رانيا للتعليم والتنمية وبالشراكة مع سمو ولي عهد أبو الظبي الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، ورواق (https://www.rwaq.org) وهو أقدم منصة تعليمية إلكترونية في العالم العربي، وتمكين (http://tamkeen-edu.org) الذي يعد مشروعًا رائدًا في تقديم التدريب بشكل احترافي سواء واقعيًا أو إلكترونيًا، وندرس (https://www.nadrus.com) التي تم إنشاؤها في الإمارات عام 2014 من قبل بعض الاختصاصيين في مجال التدريب التقني في الشرق الأوسط.

أما المنصات العربية المتخصصة، فمن نماذجها أكاديمية حسوب (https://academy.hsoub.com) التي تركّز بشكل رئيس على تعليم التقنية وإدارة الأعمال بمُختلف مجالاتها. والحقيقة أن أكثر المنصات التعليمية العربية تنصب على العلوم الشرعية الإسلامية، ومن أمثلة ذلك: منصة البناء العلمي (https://benaa.islamacademy.net) التي تعد أول منصة متخصصة في هذه العلوم على الإطلاق، ومنصة زادي (https://zadi.net) التي تعد ثالث منصة عربية تنتهج نظام (MOOCs) للتعليم المفتوح.

وأما المنصات النوعية التي تستهدف شريحة معينة، فمن أمثلتها: مدرسة (https://madrasa.org/) التي تغطّي مختلف المناهج الدراسية من رياض الأطفال وحتى الصفّ الثاني عشر وهي إحدى مبادرات مؤسسة

محمد بن راشد آل مكتوم العالمية، ونفهم (https://www.nafham.com) التي تغطي المناهج المدرسية لخمس دول عربية هي السعودية ومصر وسوريا والجزائر والكويت، وأكاديمية المستقبل الإلكترونية (http://futureacademy.byethost10.com/?i=1) التي تستهدف طلاب الثانوية العامة وفق مناهج ثلاث دول هي السعودية والكويت ومصر.

فضلا عن ذلك، يتوافر على مستوى العالم العربي برامج وطنية داعمة للتعليم والمصادر المفتوحة على مستوى العالم العربي، مثل منصة شمس أو «شبكة الموارد السعودية التعليمية المفتوحة» وهي شبكة رقمية تضم الموارد التعليمية الناتجة عن المؤسسات والأفراد بغرض إثراء جميع التخصصات المعرفية ودعم التعاون والمشاركة بينهم (8). والجدير بالإشارة أن هناك سحابة خاصة Cloud لرفع هذه المصادر التعليمية أو التوعوية أو التثقيفية بغرض توصيفها ومراجعتها من المتخصصين تمهيداً لاعتمادها وتقويمها ونشرها بتلك المنصة (9).

ويرى البعض (10) أن هناك تحديات تواجه حركة المنصات التعليمية المفتوحة في العالم العربي، منها مدى مناسبة هذه المنصات لخدمة خصوصية البيئة العربية، وضعف البنية التحتية للاتصال بالإنترنت في بعض الدول العربية، وحتمية أن تكون الأدوات المستخدمة في إنتاج هذه المنصات مشاعة ومتاحة مجاناً للجميع، هذا فضلا عن اللغة العربية نفسها، فمن الملاحظ – مثلا - أن اختلاف اللهجات قد يكون أحد عوامل ضعف تبني أي حركة عربية للمصادر التعليمية المفتوحة.

وعلى العموم، وبرغم الواقع المتقدم بصفة عامة للمنصات العربية، إلا أنها لا زالت بعيدة عن مثيلاتها الغربية التي وصلت لمراحل متقدمة في مساقاتها الأكاديمية الاحترافية فضلا عن الشهادات الصادرة عنها والتي قد تصل إلى مستوى العالمية كشهادات

المصادر التعليمية المفتوحة ليست حلا سحريًا، إلا أنها في أقل الأحوال يمكن أن تكون إحدى الطرق المتعددة المستخدمة في تعزيز عملية التعلم

البورد العالمي .

ويعد دليل «المصادر التعليمية المفتوحة المشاعة» (OER Commons 11) أحد أبرز البوابات التي توفر نقطة واحدة للوصول إلى الآلاف من المنصات والمبادرات التي توفر المصادر التعليمية المفتوحة رفيعة الجودة. وتحتوي هذه البوابة أيضًا على مجموعة فرعية من المصادر العربية تشتمل على أكثر من 4000 مصدرًا تعليميًا (12). كما يمكن الوصول إلى مستودعات الكائنات التعليمية عبر سجل مستودعات الوصول الحر (روار ROAR)، ودليل مستودعات الوصول الحر (أوبن دوار Open DOAR Directory of Open). هذا فضلا عن توافر كثير من المحركات المخصصة للبحث عن المصادر التعليمية المفتوحة، مثل Google OCW/ OER search، وDiscoverEd، وغيرهما (13).

وربما كان استخدام التراخيص القانونية المفتوحة (وبصفة خاصة تراخيص الإبداع المشاع Creative Commons)، والشبكات الاجتماعية، من أبرز مقومات الدعم والترويج للمصادر التعليمية المفتوحة (14). ولابد من الإشارة هنا إلى جهود إحدى المؤسسات العربية غير الحكومية المكرسة لزيادة الوعي والترويج لاستخدام المصادر التعليمية المفتوحة وهي OER Lebanon) 15)، والتي تقوم بذلك من خلال عقد ورش العمل، والمشاركة في المؤتمرات، ونشر المعلومات حول حركة الوصول المفتوح في جميع أنحاء العالم.

وكثيرة هي المهام التي يمكن للمكتبات الانخراط بها في هذه الحركة التعليمية المعلوماتية. وعلى سبيل المثال، يمكن لاختصاصيي المكتبات القيام بما يلي (16،17،18):

- التعريف بهذا النمط من المصادر على أوسع نطاق، وبالأساليب المناسبة، وفي كل تخصص علمي على حدة.
- الإسهام في إنشاء هذه المصادر بواسطة التقنيات الملائمة، والمساعدة في التعرف على فرص التمويل المخصصة لإنشائها وتطويرها.
- اختيار نمط الترخيص المناسب لها، بل والتنقل بين التراخيص إن لزم الأمر.
- دعم تلك المصادر بواصفات البيانات (الميتاداتا) المعيارية، سواء تلك المواصفات العامة مثل «دبلن كور» أو المخصصة للمصادر التعليمية.

ولا شك أن المكتبات العربية، والعاملين بها، أحوج ما يكونون إلى الأخذ بهذه النصائح لتطوير المصادر التعليمية المفتوحة وترسيخها والترويج لها، خاصة في ظل الظروف الاقتصادية الضاغطة التي تمر بها معظم مجتمعات العالم العربي، وفي ظل الحاجة الملحة لتحسين الأحوال التعليمية في جل تلك المجتمعات.

(*) قسم علوم المعلومات – جامعة بني سويف.

المصادر والمراجع

1ـ اليونسكو. الموارد التعليمية المفتوحة: التجديد والبحث والممارسة. [ترجمة] الألكسو. تونس: الألكسو، 2016. 269ص.

2ـ سوان، آلما (2017). تطوير وتعزيز الوصول الحر: مبادئ توجيهية للسياسات/ ترجمة سليمان الشهري، وعبدالرحمن فراج. الرياض: مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية. 184ص. متاح على: https://bit.ly/2TaM7is.

3ـ Hylen, J. Giving Knowledge for Free: The Emergence of Open Educational Resources. 2007. Available at: https://bit.ly/2SiO4wy

4ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو). مستودع الموارد التعليمية. 2015 متاح على: https://goo.gl/XmKQ4B.

5ـ اليونسكو. الموارد التعليمية المفتوحة. مصدر سابق.

6ـ المنصات التعليمية المفتوحة العربية... بين الواقع والمأمول. متاح على الرابط: https:// ayyamsyria.net/archives/208851

7ـ De Hart, K., et al. Open Educational Resources (OERs) and the Role of the Library. 2016. Pwerpoint presentation. Available at: http://24588/uir.unisa.ac.za/handle/10500.

8ـ شمس - شبكة الموارد السعودية التعليمية المفتوحة. متاح على: https://shms.sa

9ـ سحابة شمس. متاح على: http://oer.elc.edu.sa/?q=ar/content/916

10ـ نجلاء إيشان. واقع وأفاق المنصات المفتوحة ودورها في تطوير العملية التعليمية. في الملتقى التربوي الثاني «معلم العصر الرقمي». الرياض: جامعة الأميرة نورة، كلية التربية، 2016. متاح على: https://bit.ly/2ThSNeX.

11ـ OER Commons. Available at: https://www.oercommons.org

12ـ OER Commons Arabic. Available at:https://arabic.oercommons.org/ EN

13ـ Finding OERs. Available at: https://bit.ly/2placOt

14ـ Santos-Hermosa, G., Ferran-Ferrer, N. and Abadal, E. Repositories of Open Educational Resources: An Assessment of Reuse and Educational Aspects. The International Review of Research in Open and Distributed Learning. Vol.18, no. 5 (2017). Available at: https://bit.ly/2uNzWwq

15ـ OER Lebanon. (2018). WHAT IS OER LEBANON? Available at: http://www.oerleb.2018/12/org/home. Accessed at 10.

16ـ Landry, M. and Moses, D. Open educational resources-Why OER is important to UDL and how your library can help. In: Second Pan-Canadian Conference on Universal Design for Learning (UDL), Charlottetown, PE, May 31 to June 2, 2017. 2017.

17- De Hart, K., et al. ibid

18ـ Teplitzky, S. and Warren, M. Trends in Open Educational Resources in the Earth Sciences: Emerging Roles for the Academic Library. 2017. Available at: https://escholarship.org/uc/item/9vv862ms.